1048



صاحب الجلالة يوجه خطابا الى شعبه الوفي

بمناسبة ذكرى 20 غشت

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز .

في مثل هذا اليوم من كل سنة، الفنا ان نلتقي جميعاً للاحتفال بذكرى ثورة الملك والشعب، ولست في حاجة الى التذكير بمعنى ثورة الملك والشعب، المهم هو ان نعرف ان الله سبحانه وتعالى وضح لنا معالم الطريق ؛ حتى نبقى نعتز بالماضي وحتى لا نتيه في المستقبل، لقد كان يوم 20 غشت يوم ثورة الملك والشعب، واعطى فيه المغرب مرة اخرى افراده وجماعاته، المثال لما يجب ان يكون عليه شعب اراد ان يعيش ويستمر في الحياة.

ومن غريب الصدف انه في سنة ثلاث وخمسين، صادف يوم عشرين غشت يوم الخميس، وهو يوم الوقوف بعرفات، ليلة عيد الأضحى ؛ واننا لنرى مناسبة طيبة ونحن نتكلم عن عرفات وعن عيد الأضحى لنخاطبك شعبي العزيز في موضوع يهمك شخصيا ويهمني كذلك، ولكن قبل ان اتطرق اليه اريد ان اذكرك، شعبي العزيز، ان ما اكتسبناه من نصر في الصحراء وفي الميدان، وما اكتسبناه كذلك من نصر وتوفيق من الله سبحانه وتعالى في مؤتمر القمة الافريقي الاخير، ان كل هذه الانتصارات لا تكون نهاية في حد ذاتها، اعتقد شخصيا ان الخصوم، حتى لا اقول الأعداء ؛ حينما رأوا ان المغرب قد انتصر من الناحية القانونية ومن الناحية السياسية ومن الناحية الدولية سوف يحاولون ؛ سواء في المؤتمر المقبل الذي نحن على أبوابه، أو في هيأة الامم المتحدة، سيحاولون ان يضعوا امامنا اكثر ما يمكن من عراقيل السفسطة والجدل العقيم، آملين اما ان يضلوا بعض الناس او ان يسير في موكبهم بعض الناس، وها نحن مقبلون على السفر الى نيروبي، وسوف يكون سفرنا بذاته وفي نوعه مخالفاً لسفرنا لمؤتمر القمة الاول، ذلك ان المغرب اكتفى في نيروبي الاول بشيئين مهمين : اولا : اكد بدون رجعة مغربية الصحراء، ثانيا : اكد الاستفتاء الذي قرر ان يجريه في الاقاليم الصحراوية، فكان ذلك جواباً طيباً للأصدقاء العديدين، عرباً وافارقة واوربيين، وعددهم كثير وحجمهم له وزنه ؛ وتأكيداً لرغبة الاصدقاء في ان يروا المغرب يخرج نهائياً من هذا التورط المختلق والمفتعل، وكان جواب المغرب، نعم سوف نقبل على الاستفتاء ولأن هذا الاستفتاء لن يؤكد الا شيئاً واحدا الا وهو مغربية الصحراء، ولو كنا في حاجة الى دليل على ان الصحراء مغربية رمالا وارضا وسماء ومياها وبحرا وبشرا، لكنا التجأنا الى طريقة اخرى غير هذه الطريقة، ولكن اقاليمنا الصحراوية، والصحراويين ابناءنا اكدوا لنا غير ما مرة، مباشرة وشخصيا، ولاءهم وبيعتهم ؛ واكدوا مغربيتهم بمشاركتهم في انتخابات محلية ووطنية، وحتى لو لم يشاركوا لكان استيطانهم في الصحراء في العيون واسمارة وبوجدور والداخلة واستمرارهم في الاستيطان، كافياً ومقنعاً بان ابناءنا في الصحراء

هم مغاربة، ولا يريدون الا ان يبقوا مغاربة، الا ان ابناءنا في الصحراء حتى يتمتعوا بما يترتب على الانتساب وعن البنوة المغربية، علينا ان نعرف مشاكلهم من قريب جداً، علينا ان نكون على بينة تامة مما يفكرون فيه ومما يستهدفونه، فمثلا كيف يمكن تطبيق نظام المحافظة العقارية في الصحراء والحالة ان رعايانا الصحراويين كانوا رحلا ولا يملكون الأرض للفلاحة ولا يعرفون المساحة الفلاحية، فكيف يمكن ان يطبق عليهم بصفة اوتوماتيكية النظام العقاري مثلا.

معلوم ان رعايانا في الصحراء لهم تقاليد وعوائد اجتماعية واقتصادية وحتى المعاملات، تلك العوائد وتلك الاخلاق التي اكتسبوها من طبيعة البيئة التي يعيشون فيها، فهل من المعقول ان يبقى المغرب يشرع في الرباط دون ان يرى هل تلك التشريعات او تلك الاصلاحات مطابقة للطبيعة الحقيقية لسكان الصحراء ؟ ولقائل ان يقول او يتساءل : هل كلامي الآن له معنى غير مغربي أو غير وحدوي فيما يخص القانون ؟ اقول لا، واحسن مثال هو مثال اقليمين كبيرين في فرنسا هما : الالزاس واللورين. فهذان الاقليمان ما زالا يعيشان على القوانين التي ورثاها من المانيا بعد حرب 1870، والى الآن لا تطبق عليهما مدونة الاحوال الشخصية ولا القوانين العقارية ولا القوانين الاخرى التي تطبق في التراب الفرنسي وفي الاراضي والعمالات الفرنسية التي فيما وراء البحار، بعبارة اوضح اريد ان اكون مرناً جداً، وان تكون الرباط مرنة جداً فيما يخص تربية المواطن المغربي الصحراوي الذي لم يلتق ببلده الا منذ خمس سنوات، والذي نريد ان يبقى على طبيعته وان يبقى على ما جبله الله عليه من حسن الاخلاق والاستقامة ومن الاعتزاز بالصحراوية، وهذا الاعتزاز بالصحراوية يقتضي منا احترام الشخصية الصحراوية، واعتقد شخصيا ان ما قررناه من إحداث مجلس بجانبنا يرمي الى هذا الهدف ويرمي الى الوصول الى احسن الاهداف.

كما تعلم شعبي العزيز، كلفنا وزيرنا الاول ان يخاطبك باسمنا ليقول لك اننا قررنا ان نجعل بجانبنا مجلساً مكوناً من القبائل والاسر الكبرى في الصحراء، وان لا يكون هذا المجلس مؤلفاً حسب عدد القبائل ولا عدد المنتمين اليها، لأنه لن يعمل بالتصويت، ولكن سوف يعمل بسداد الرأي، والرأي السديد هو الرأي السديد، سواء كان حوله مئة صوت او صوت واحد.

ثانيا : اردنا ان يعمل هذا المجلس بجانبنا شخصياً، حتى يمكننا بالنسبة للأقاليم الصحراوية، ان نعطي للامركزية التي ننشدها منذ زمن طويل، معناها الحقيقي، وذلك لأننا سوف نكون مطلعين احسن ما يكون الاطلاع على المشاكل الموجودة في الصحراء وعلى ما ينويه وما يرغب فيه سكان اقاليم الصحراء، وقررنا ان يكون هذا المجلس مكوناً من ستة اشخاص من كل قبيلة، وابينا الا ان تكون المرأة الصحراوية ممثلة في كل قبيلة وفي كل اسرة كبيرة او في كل زاوية، لما نعرف عنها من تعلق بالنظر في الشؤون العامة، وبما لها من نشاط وحيوية وما لها من دور هام كمربية، كما اننا اشترطنا ان يكون سن بعض الاشخاص الممثلين للقبائل الصحراوية اقل من أربعين سنة، لأننا رأينا ولمسنا عن كثب ان هناك موجة من الشباب الحي المتطلع الناضج المتشوق في الصحراء يريد ان يشارك كذلك في بناء اقاليمه، كان واجباً علينا ان نلبي هذا النداء الشاب، علماً منا ان المسؤولية ليست رهينة بالسن، بل المسؤولية هي قبل كل شيء تحت تصرف الوعي، والوعي الوطني القويم. وهكذا نعتقد ان الاقاليم الصحراوية بما لها من ممثلين في البرلمان وبما لها من ممثلين في المجالس البلدية والقروية وبما ستضعه رهن اشارتنا من قوات صحراوية اخرى ستبرهن مرة اخرى على انها مغربية وتريد ان تبقى مغربية، وعلى ان مغربيتها لم تكن ولن تكون حدثاً من احداث التاريخ، ولكن ملتقى ارادات التقت حول شيء واحد، هو المواطنة .

المغربية من البوغاز الى الصحراء، واملي في هؤلاء المنتخبين ان يكونوا بجانبي الأداة الخلاقة التي يحتاج المغرب لها برلماناً وحكومةً وملكاً.

وهكذا سنسافر الى نيروبي معززين مرة اخرى ببيعة اخرى مجددة بكيفة اخرى، وواضعة وسائلها بجانب الوسائل الأخرى الممثلة اما في البرلمان واما في المجالس البلدية والقروية والمهنية، وسنذهب الى نيروبي مسلحين اولا بايماننا في الله سبحانه وتعالى، لأن الله سبحانه وتعالى اراد ان يجعل من المغرب كلا لا يتجزأ، فان لم يرد الصحراويون ان يكونوا مغاربة فانا اقترح ان يكون الشماليون صحراويين، لأنه من ايام المرابطين ويوسف ابن تاشفين والدم مختلط بالدم والرحم موصولة بالرحم، والتاريخ مشترك ؛ والمصالح مشتركة ؛ والمشاكل كذلك كانت مشتركة ؛ سنذهب اذن اولا مسلحين بحججنا القانونية والتاريخية التي لها حجم ولها نوعية خاصة والتي سنعرضها هناك، ومسلحين اخيرا بحسن نيتنا، ذلك اننا حينما طالبنا بالصحراء واسترجعنا الصحراء لم نرتم على ارض احد، ولم نرد ان نعتلب اي شيء من أحد، بل اردنا قبل كل شيء رجوع المياه الى مجاريها والاحباب الى ذويهم والارض الى اربابها، ومرة اخرى نحن صحراويون، فنحن في الشمال قررنا مصيرنا اردنا ان نكون صحراويين، فمن ياترى يمكنه ان يمنعنا ان نكون صحراويين ؟ المغاربة قرروا ان يكونوا صحراويين، واذا لم نرد ان يكون الاستفتاء في الأقاليم الصحراوية فليكن الاستفتاء هنا، ونسأل المغاربة : هل يريدون ان يكونوا صحراويين في داخل تلك الحدود التي يريد اناس ان يقولوا انها صحراؤهم ؟ فاذا قال عشرون مليون مغربي اننا صحراويون، نحن مستعدون ان نقوم بمسيرة اخرى بعشرين مليون هذه المرة وليس بثلاثمئة وخمسين الفاً، بعشرين مليون لنأخذ بطاقتنا، بطاقة المواطنة الصحراوية، وانا على رأسكم في هذا الباب، المهم اننا سنسافر الى نيروبي لاحقاق الحق، ولتأكيد ما يجب ان يؤكد، ومن لا يريد الفضيحة... على كل حال، فليمسك عن الاستمرار في الغطرسة والغلط والتغليط.

هذه شعبي العزيز هي النقطة الاولى التي كنت أريد ان اخاطبك فيها، وذلك لأنني سمعت وشممت واحسست ان بعض الأفكار وبعض الناس يتساءلون عما هو واقع ؟ وبالأخص أبناؤنا الصحراويين، هل فرط فينا ملكنا ؟ وهل ملك المغرب اصبح حتى هو يتساءل هل نحن مغاربة ؟ هذه كلها بلبلة وخرافات واوهام يجب ان نمحوها نهائياً من ادمغتنا. انا قلت لكم ذهبنا الى نيروبي في المرة الاولى لنقول للناس اردتم تأكيداً اخر زيادة على البيعة الاولى والثانية، زيادة على الاستيطان والاستمرار في الاستيطان، زيادة على المشاركة في الحياة اليومية النيابية المحلية او الوطنية، بما ان عدداً من الدول الاوربية العظمى والدول العربية ذات الوزن، وافريقية لها اعتبار، طلبوا منا ان نأخذ بخاطرهم ونخرج بلدنا من هذه الورطة المفتعلة ولكنها موجودة، قلنا طيب، سنقوم باستفتاء، ولكن في ذهننا هذا الاستفتاء هو استفتاء تأكيدي وليس استفتاء الفتوى، وحتى اذا اردنا ذلك يمكننا ان نقلب الاستفتاء، وعندما اذهب الى نيروبي اقول لهم : اننا لم نعد متفقين على ما سبق، فمغاربة الشمال هم الذين يطلبون الآن منكم، هل تقبلون ان يذهبوا لتقرير مصيرهم في الاقاليم الصحراوية ؟

اذن، اعتبر شعبي العزيز ان هذا المشكل فسرناه، وان هذا التشكك انتهى، واننا وضعنا نهائياً النقط على الحروف.

النقطة الثانية شعبي العزيز، بما ان هذه مناسبة للمذاكرة والمناقشة قلت لك في أول خطابي ان والدنا المنعم رحمة الله عليه نفي من بلده ليلة عيد الأضحى، وكانت النتيجة ان المغاربة قاطبة لم يضحوا في الغد.

غير خاف عليك شعبي العزيز، ان السنة كانت سنة قحط وجفاف، ومن ثم مست عدة جوانب وميادين



من الفلاحة وعلى رأسها الماشية، حتى اضطر الكسابة الى بيع خرفانهم وهم صغار حتى لا يضيعوا نهائياً، وها نحن على باب عيد الاضحى، وكما تعلم شعبي العزيز، ان الاضحية هي قبل كل شيء سنة، وتقتضي منا السنة النبوية ان نذبح كبشاً لا نعجة ، فلو كانت الحرية تركت لنا ان نذبح كبشاً أو نعجة لم يطرح المشكل، ولكن السنة ان النبي صلى الله عليه وسلم ضحى بكبشين املحين اقرنين، ذبحهما بيده الشريفة صلى الله عليه وسلم، فاذن لابد من الخرفان، واذا ما ضحينا جميعاً هذه السنة فسوف يلحق ضرر كبير بماشيتنا، لأنه لم يعد بامكاننا ان نجد الخرفان التي ستولد، وسنضطر الى جلب اللحوم قبل نهاية السنة.

وتعلم شعبي العزيز كذلك، ان في كل سنة نضحي بما يقرب أو يفوق ثلاثة ملايين من الخرفان، وقدرها يساوي مئة مليار سنتيم أو مئتي مليون دولار، وهذا المبلغ كنا نتحمله في السنين العادية، ولكن في هذه السنة سوف اطلب من شعبي ان امكن لبعض الاسر الامساك عن الأضحية فستكون قد قامت بالروح الحقيقية للسنة، وانت تعرف شعبي العزيز انني متشبث جداً بهذه العوائد وهذه السنن، لأن سنة الأضحية ليست فقط فكرية او الرجوع الى الماضي او الرجوع الى حقيقة الاسلام او الرجوع الى جدنا ابراهيم عليه السلام، لا. هو في آن واحد مناسبة للأسرة لكي تجتمع، وتعرف انني احرص الناس على اجتماع الاسرة، وانني اعمل أكثر جهدي حتى تبقى الاسرة مجتمعة بكل وسيلة كانت حتى بالنسبة للهندسة، وانت قد سمعت خطبي في هذا الباب، انا ضد الشقق في العمارات، لأن الشقة في العمارات لا تترك الحياء اللازم بين الاب وأولاده ان كانوا متزوجين او بين الاخوان ان كانوا متزوجين، والأسرة تتفكك، فلهذا اؤكد أنا شخصياً وكنت دائماً أؤكد ان السكنى في المغرب لابد ان تبقى محافظة على النوعية الهندسية التي تضمن للأسرة ان تبقى مجتمعة ويوجد في الدار المغربية الاصيلة نوع من الوقار لا يوجد في الشقة، كذلك يوجد في الاضحية مناسبة لكي تجتمع العائلة على ذلك الكبش، ليس محبة في اللحم، ولكن تكون مناسبة أولا لكي تتعلم بناتنا الطبخ، ومع الاسف ليست لديهن مناسبات عديدة لكي يتعلمن الطبخ، فانا اقول يجب ان يضحي الناس ويجتمعوا، ولكن بهذه المناسبة أظن انه من الاحسن الامساك، ولن آمر بالامساك، لأن الأضحية سنة نبوية مؤكدة، ولا يمكنني ان أكون ضدها ؛ ولكننا اذا امسكنا فلن نخرج من الاسلام، في هذه السنة فقط يجب ان نصبر شيئاً ما حتى يظهر المغاربة انهم لا يضحون فقط بالماديات، بل يضحون ايضا حتى بالاشياء التي هي عاطفياً عزيزة عليهم.

منذ ان خلقنا الله ونحن نرى كبش الاضحية ونفرح به ونحن اطفال، فأصبح خروف عيد الأضحى عادة من عاداتنا ومسرة من مسراتنا، فحتى اذا ضحينا بهذه المسرة سنة فلن نكون قد ضيعنا شيئاً كثيراً وسنظهر بمظهر كبير، فشخصياً خادمكم هذا بما انه أمير للمومنين فهو مضطر ان يضحي، وسوف أضحي كأمير للمومنين وسأصدر الأمر لجميع القضاة القاطنين بعواصم الاقاليم لكي يضحوا لأنه من واجبهم ان يضحوا، لأن من ضحى قبل الامير فانما هو لحم قدمه لأهله، فأنا سأضحي والقضاة ممثلونا الشرعيون سيضحون في اماكن وجودهم، ومن أراد ان يضحي لن أمنعه، ولكن من أمسك فسيكون حقيقة من الذين وهبهم الله التمييز وأصبحوا بعيدين عن الأنانية.

لقد قلت لك شعبي العزيز، انني اخاطبك بهذا الكلام وأنا أحس انني ضد تياري الداخلي، أعاكس نفسي واقاومها لأقول لك هذا، ولكن حقيقة جلب اللحوم قبل السنة.. حالة رصيد العملة الصعبة عندنا انتم تعرفونها.. 100 مليار تذهب الآن سدى في ظرف سبعة أيام، اظن ان المغرب في حاجة الى هذه المئة مليار وفي حاجة كذلك الى أن يظهر انه اذا ضحى بالماديات، انه يضحي كذلك ببعض المسائل التي هي أسروية.

فمن أراد أن يضحي فلن امنعه لأنه ممنوع ان امنع اتباع السنة، ولكن حتى الامساك سنة، وحتى في



الامساك ثواب، ولكن من أمسك فسيكون له ثوابان : الثواب انه استعمل التمييز، والاسلام دين التمييز، ليس دين التقليد. هذا هو ما جعله ديناً حياً لا يزال قائماً في العبادات والمعاملات، إذ سيكون له ثواب التمييز للانسان الذي يعتقد، ويعتنق ديناً يفهمه ويهضمه، ويعتقده ويعانقه بيديه لأنه ميزه وفهمه. والثواب الثاني سيكون انه لسنة ــ أيام الله طويلة ان شاء الله ــ سيكون قد شارك في الترفيه عن الخزينة، وعن صندوق الدولة، لأنه حقيقة ليس في امكاننا الاضطرار الى جلب اللحوم من هنا الى آخر السنة.

فمرة اخرى شعبي العزيز، هذا شيء موكول الى ضمير اي واحد منكم، فبالنسبة الي حتى أولئك الجزارون الذين كانوا يأتون في السنوات الماضية وكنت اعطيهم هبة مالية فسأبعثها لهم ولكن لن يدخلوا عندي الى الدار، سأضحي بكبشين عملا بالسنة النبوية، وداري لن يدخلها الجزار ؛ وسيؤكدون لكم ان سيدنا لم يضح هو واسرته، ولكن من اراد منكم ان يتطوع فمرحباً، ومن أراد ان يتبع السنة فلا جناح عليه، ولكن املي ان تأتيني الاخبار السارة على ان النصيحة اتبعت وعلى أن النضج والوعي تغلبا مرة اخرى على الاندفاع العاطفي للأسر.

ستقولون ماذا قال لنا عن 20 غشت وثورة الملك والشعب ؟ فلو لم يكن 20 غشت 1953 لكان بامكاننا الآن ان نتحدث عن الصحراء ؟ كل خير جاء من 1953، كل نصر جاء من غشت 1953.

وهنا يمكننا القول، اذا قيل في مبالغة الشعراء والملاحم، ان الدماء الطاهرة تسقي الارض، ولم تسق فقط ارض المغرب وحدها بل سقت الارض الافريقية كلها، لأن 20 غشت كان انطلاقا لتحرير افريقيا.

واملي في الله سبحانه وتعالى ان يبقى المغرب ملكا وشعبا دائما مستعدين لخوض عشرين غشت أخرى، ومعنى ذلك ان الاستعمار لن يعود، وملك البلاد لن ينفى، والمغاربة لن يضطهدهم المستعمر، لا. ولكن امتحانات أخرى من نوع آخر ستنزل بنا، وسوف تبقى تنزل بالمغرب، لأن المغرب محسود لأسباب عديدة ومتعددة، فأملي حينما يدق جرس الخطر ثم جرس التجنيد ثم جرس المخاطرة، املي ان نكون دائماً في هذا البلد الامين ملكاً وشعباً مستعدين لخوض المخاطرة ولو ادى ذلك الى المخاطرة بالحرية او بالحياة، وحينما نفي والدي طيب الله ثراه واخذ في طائرة لا توصف وفي حالة لا يمكن تصورها، كان إذ ذاك يتساءل : وكنت أتساءل هل هناك منفى او هناك مسرحية للاغتيال ؟ فطالما بقي والدي طيب الله ثراه بين يدي المستعمر من غشت 1953 الى نونبر 1955، كان في كل وقت وحين يمكن ان يقضى على حياته.

فحينما خاطر بنفسه بالمنفى، كنت أشعر وكان يشعر انه في آن واحد، خاطر بحياته علماً منه انه ما كان ينتظر من المستعمر الا كل شر وكل سوء، ولولا مخاطرة ذلك الرجل لما انتبه هذا الشعب الذي هو بنفسه خاطر بحياته واسرته وراحته، فاصبح الكل في الكل والبعض في البعض ؛ حتى خرج من هذا كله هذا الامتزاج، خرج 16 نونبر 1955 لقاء الأحبة ؛ النداء بالاستقلال، الانطلاقة لبناء المغرب الجديد.

هذا شعبي العزيز، هو ما كنت اريد ان أقوله لك في هذا اليوم وفي هذه المناسبة العزيزة على كل واحد منا، واريد ان تبقى عزيزة على كل واحد منا عبر القرون، وهي امانة في عنق الآباء والامهات ليبلغ الحاضر الغائب وليبلغ الحي من سينشأ غداً وسيولد غداً، حتى تبقى لنا معالم كما قلت لكم في الاول معالم واضحة نرجع اليها لتعطينا المقاييس، وامارات معالم في الطريق التي نشقها حتى نبقى مسطرين طريقاً مستقيماً ؛ سبيلا ربانياً يمكن للأجيال القادمة ان تباهي به الاجيال السالفة، وما ذلك على الله وعلى همتنا جميعاً بعزيز.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بالرباط الخميس 19 شوال 1401 ــ 20 غشت 1981